من روائع الشرق والغرب

ذكرى

لشاعر الحب والجمال لامرتين

كان لامرتين « قد حبس نفسه شهوراً طويلة فى شبه ناووس مع صورة من عبدها ثم فقدها » ثم « ألف الحزن والألم » وخرج من الفناء الذى ألفاه فيه موت چوليا حبيبته ، وراح « يتحدث بالمناجيات والصلوات والأدعية والشعر الى شبحها الذى لا يبرح ماثلا فى خاطره » . وهذه القصيدة قد نظمها فى ربيع ١٨١٩ « على مقعد من الصخر حول ينبوع متجمد فى الغابات التى تكتنف قصر عمه فى (أورسى) (١) »

عبثاً يتعاقب الجديدان ،
فلن يتركا أثراً فى حسى ،
ولن يمحوا صورتك من نفسى ،
يا آخر حلم رآه الوجدان

إنى أرى أعوامى السريعة
تتراكم من ورائى هاوية ،
كما ترى السنديانة الرفيعة
أوراقها من حولها ذاوية .

جنّتى شيبتها السنون الجاهدة ،
ودمى أبردته فلا يكاد يجرى ،
كأن هذه الموجة الهامدة
لفحتها ريح الجنوب فلا تسرى

ولكن صورتك الوضيئة الحبيبة ،
تلك التى يزيدها أسنى جمالاً
لا تدركها فى قلبى الشيخوخة الكئيبة ،
لأنها كالنفس لا تعرف عمراً ولا زوالاً

كلا ، انك لم تزايلى بصرى ،
فاذا حيل بين عينى وبين رؤيتك
انقطع من هذه الأرض خبرى
واتصل نظرى فى السماء بصورتك

وهناك تبدين لى فى السماء
كما كنت فى يومك الأخير ،
حين طرت إلى مقامك الوضّاء
مع الصباح المشرق النضير

جمالك النقى المؤثر يا حبيبتاه ،
يتبعك حتى فى ذلك الوجود ؟
وعيناك اللتان تنطق فيهما الحياة ،
يشعان ثانية بنور الخلود

وأنفاس النسيم الهائمة ،
تحرك أيضاً شعرك الطويل ؟
وخصلته المتموجة الفاحمة ،
تعود فتسقط على صدرك الجميل (١)

وظل هذا النقاب الحائر ،
يحلّى وجهك الوضاح ،
كأنما سدول الظلام الآخر ،
تنحسر عن محيا الصباح

إن اللّهب السماوى لهذه الشمس ،
يجىء ويذهب مع الأيام ؟
وأنت تشرقين دائماً فى النفس ،
فهى لا يعرف البرد ولا الظلام

أنت التى أسمعها فى الصحراء ؟
وأنت التى أبصرها فى السحاب والماء ؟

(١) الكلمات التى بين الأقواس من كلام لامرتين

(١) أنظر قصة (رفائيل) الفصل العاشر والفصل الثالث عشر

فالموج يعكس صورتك فى عينىّ ،
والنسيم يحمل أصواتك إلىّ ،

وإذا خشعت الأصوات ونام الليل ،
وسمعت حينئذ همس الهواء ،
حسبتنى أسمعك تغمغمين فى أذنى
بكلماتك المقدسة العذاب

وإذا ما أُعجبت بهذه المصابيح المنتثرة
التى ترصع رداء الليل الساكن ،
حسبتنى أراك فى كل نجمة مزدهرة ،
تسترعى بصرى بلألائها الفاتن

وإذا ما هب النسيم على الزهور ،
فأسكر النفس بنفحات العطور ،
كانت نفحتك هى الطيب الذى أنشقه
فيما يَنشه هذا النسيم ويطلقه

إن يدك هى التى تجفف دموعى
حين أذهب فى حزن وبكاء
لأؤدى فى السر صلاتى وخشوعى
فى محاريب الدعاء والعزاء

وإذا نمت سهرت علىّ سهر الخائف ،
وبسطت جناحيك على آلامى ،
وأوحيت إلى بجميع أحلامى
وديعةً كخطرات الخيال الطائف

وإذا قطعتْ يداك أثناء منامى
مجرى حياتى وأسباب أيامى
فأصحو — يانصف روحى العلوى —
بين حضنك الحنون القدسى

ثم تصبح نَفْسانا نَفْساً واحدة ،
كشعاعين متحدين من أشعة الفجر ،
أو نفسين ممتزجين من الأنفاس الصاعدة؛
ولكنى لا أزال أردد أنفاس العمر ! !

الزيات

مقطوعات شعرية

لشاعر الهند العظيم الدكتور محمد اقبال

« من ديوان رسالة المشرق »

الملك لله

أضرم طارق النار فى سفائنه على ساحل الأندلس ، فقيل له هذا أمْنٌ ينكره العقل ! كيف نرجع الى الديار ، وقد شط المزار ؟ إن الشريعة لا تجيز ترك الوسائل ! فضحك وأصلت حُسامه وقال : كل مُلك ملكنا ، لأنه مُلك ربنا

الحياة

سألت حكيماً : ما الحياة ؟ قال : حمر أمرُّها أطيبها . قلت : إنها دودة تنشأ من الطين . قال : بل وليدة النار كالسمندل . قلت : إن الشر مضمر فى فطرتها . قال : هى شر كلها إذا لم تعرف خيرها . قلت : إن غرامها بالسير لم يبلغها منزلاً . قال : إن منزلها فى هذا الغرام نفسه . قلت : إنها ترابية ومرجعها التراب . قال : إن الحبة إذا شقت التراب فهى وردة ناضرة

الشقيقة

أنا الشعلة التى اضطرمت فى أحضان العشب من فجر الأزل ، قبل أن يُخلَق البلبل والفراش ، أنا أعظم من الشمس ، ولكنى منبثة فى كل ذرة ، وقد خلقت السماء شرارها من حرقتى : سقطت على صدر المرج لحظة فنبع من ترابى غصن ناضر فاستلب نارى وقال : تلبثى فى أحضانى قليلاً ، ولكن قلبى السليب لم يقر قراره ، فاضطربت فى ضيق الغصن حتى تجلى جوهرى باللون والرائحة ، فنثر الندى فى طريق جواهر متلألئة ، وضحك لى الصبح ، وأطافت بى ريح الصَّبا ، وسمع البلبل من الورد أن نارى قد سُلبت ، فتأوه وقال : لقد اشترت ثوب الحياة غالياً

هأنذا أفتح صدرى لضوء الشمس وأحتمل مِنَّتها ، فمن لى بأن تعود نارى مشتعلة فى صدرى ؟

الحياة الخالدة

لا تحسبن الحانة قد بلغت نهايتها . فلا يزال فى عروق الكَرْم ألف خمر لم تُشرب ذلك المرج جميل ، ولكن لا يجمُل أن نعيش كالبرعم ! قضاء حياته ممزَّق بأنفاس الصَّبا . إن تكن بالحياة خبيراً فلا تطلب ولا ترض قلباً خلياً من وخزات الأمل . عش كالجبل محكما مجتمع النفس ، ولا تعش كالهشيم ، فان الريح عاصفة والنار لا تهاب

عبد الوهاب عزام